

الفصل الخامس

محمد بشارة موسى وعيسى

توالت في العهد القديم والعهد الجديد عبارات وإشارات وعلامات تتحدث عن النبي الخاتم الذي سيأتي بعد موسى وبعد عيسى عليهما السلام؛ لا تنطبق إلا على خاتم النبيين محمد (صلى الله عليه وسلم)؛ تشير إلى نسبه ومكان بعثته وانتشار دعوته، وتصف أمته التي ستمتد إلى كل مكان تشرق عليه الشمس، وتجتمع على مدار التاريخ من كل الأنحاء للحج والعمرة في مكة المكرمة وحرملها الآمن، في نصوص واضحة لا تحتاج إلى كثير من إعمال فكر أو تأويل:

١ - أنه من أبناء إسماعيل :

"أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به" (تثنية ١٨/١٨) .

فبدل تعبير "إخوتهم" على أنه من أبناء إسماعيل أخى إسحاق، ولو كان من أبناء بني إسرائيل لقال: "منهم" .

ومثل ذلك ما جاء في إنجيل متى: "قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتب: الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية، من قِبَلِ الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا، لذلك أقول لكم بأن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثاره" (متى ٢١ / ٤٢ - ٤٣).

إشارة إلى نزول الرسالة في قوم غير بني إسرائيل، وأنها ستنزل في بلاد نبذها الناس في الماضي وأبعد إليها - بأمر الله - سيدنا إسماعيل، وهي مكة المكرمة بأرضها القاحلة ورمضائها وفقر مواردها "الحجر الذي رفضه البناؤون"، والذي سيصير بعد مجيء الإسلام كعبة الملايين "رأس الزاوية".

٢ - أنه سيظهر في بلاد العرب :

"وحي من جهة بلاد العرب في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين" (أشعيا ٢١ / ١٣) .

و: "وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته فقال: جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعيير وتلألاً من جبل فاران" (تثنية ٣٣ / ١ - ٢) .

فيذكر النص الأول بلاد العرب صراحة كمنزل للوحي

القادم، ويحدد مقر تالؤه واكتماله في "فاران" وهي المنطقة التي تقع بين جبال: أبو قبيس وقيعان وجرء بمكة المكرمة، ويؤكد ذلك ما جاء بسفر التكوين عن ذهاب سيدنا إبراهيم بولده إسماعيل إلى فاران: "فبكر إبراهيم صباحا وأخذ خبزا وقربة ماء وأعطاهما لهاجر واضعا إياهما على كتفها والولد وصرفها... وكان الله مع الغلام فكبر، وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس، وسكن في برية فاران" (تكوين ٢١ / ١٤، ٢٠-٢١).

وانظر أيضا ما سيأتي من تحديد لهذه المنطقة من بلاد العرب في موضوع "الحج" (رقم ١٧) وجاء أيضا ذكر "مكة" بالاسم (بكة) في مزامير داود :

"عابرين في وادي البكاء (بكة) يصيرونه ينبوعا" (مزمور ٨٤ / ٦).

والمعروف أن "مكة" و"بكة" مترادفان في لغة العرب وقد جاء ذكر كل منهما في القرآن الكريم:

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٤].

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى
لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران : ٩٦] .

ومن المدهش أيضا أن كلمة "ينبوعا" (في مزمو ر ٦ / ٨٤) تشير
إلى نبع "زمزم" الذي تفجر في هذا الوادي القاحل في تلك البقعة
المباركة ليظل يروي الحجيج بلا انقطاع حتى قيام الساعة .

٣ - أنه مثل موسى :

فعبارة سفر التثنية : "أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك"
(تثنية ١٨ / ١٨) تحدد أن النبي المشار إليه مثل موسى عليه السلام،
والتماثل هنا لا ينطبق على نبي إلا على محمد ﷺ فلا ينطبق على عيسى
عليه السلام .

* فموسى ومحمد ولدا من أبوين بلا معجزة خلافا لعيسى .

* وكلاهما مات ودفن بعد إتمام الرسالة - خلافا لعيسى الذي
رفعه الله إليه .

* وكلاهما تزوج وأنجب - خلاف عيسى .

* وكلاهما كوّن في زمانه أمة من الأتباع المؤمنين - خلافا
لعيسى الذي انفض عنه أقرب تلاميذه .

* وكلاهما أتى بتشريع جديد - خلافا لعيسى الذي جاء ليؤكد
شريعة موسى .

* وكلاهما مارس الحكم والتشريع والقضاء - وما كان هذا
شأن عيسى .

أما كون موسى وعيسى كلاهما من بني إسرائيل فكذلك كان
العديد من أنبياء بني إسرائيل غير عيسى كسليمان وداود وأشعيا
وإيليا وهوشع ويحيى وزكريا وغيرهم .

٤ - أنه سيأتي بعد المسيح :

جاء على لسان المسيح في الأناجيل :

"لكني أقول لكم الحق وأنه خير لكم أن أنطلق؛ لأنه إن لم
أنطلق لا يأتيكم المعزي ولكن إن ذهبت أرسله إليكم" (يوحنا
١٦ / ٧) .

و: "أنتم أنفسكم تشهدون لي أنني قلت لست أنا المسيح بل إني
مرسل أمامه" (يوحنا ٣ / ٢٨) .

و: "هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي الذي لست
بمستحق أن أحل سيور حذائه" (يوحنا ١ / ٢٧) .

و: "فأما المعزي (الروح القدس) الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم" (يوحنا ١٤/٢٦).

وكلها عبارات تؤكد أن ذلك النبي سيد المرسلين إنما سيأتي بعد رحيل المسيح عليه السلام .

٥ - أنه خاتم النبيين :

كما جاء في إنجيل يوحنا: "وأنا أطلب من الآب فيعطيكُم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد" (يوحنا ١٤/١٦). أي لتبقى رسالته إلى آخر الزمان، كما أشار إنجيل متى إلى كونه "الأصغر في ملكوت السموات" لأنه الأخير زمناً في رهط الأنبياء: "الحق أقول لكم: إنه لم يظهر بين من ولدتهم النساء أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه" (متى ١١/١).

٦ - أنه سيصحح صورة المسيح :

"ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب؛ روح الحق الذي هو من عند الآب، ينبثق فهو يشهد لي" (يوحنا ١٥/٢٦).

وقد صحح القرآن الكريم صورة المسيح، ونزّهه عما نسب إليه من صفات وحرّفت به دعوته، كما وصفها أعظم الأوصاف .

٧ - أنه سيتم رسالات السماء :

كما جاء في عبارة: "يعلمكم كل شيء" (يوحنا ١٤ / ٢٦ - انظر رقم ٤- أعلاه)، وكذلك في عبارة "يرشدكم إلى جميع الحق".
"وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه..." (يوحنا ١٦ / ١٣) .

٨ - أنه سيجيء حين تغمر العالم ظلمة الجاهلية:

جاء في نبوءة أشعياء: "ها إن الظلمة تغمر الأرض، والظلام الدامس يكتنف الشعوب، ولكن الرب يشرق عليك ويتجلى مجده حولك" (أشعياء ٦٠ / ٢) .

ومثلها: "لنفتح عيون العمي وتطلق سراح المسورين في السجن وتحرر الجالسين في ظلمة الحبس" (أشعياء ٤٢ / ٧) .

وقد كانت بعثة محمد (صلى الله عليه وسلم) وقد ساد الظلم والطغيان وظلام الجهل كل الأمم، فأثار العقول والقلوب بدعوة التوحيد، وحرر شعوب الأرض من ربقة الطغاة .

٩ - عالمية رسالته :

"فتقبل الأمم إلى نورك، وتتوافد الملوك إلى إشراق ضيائك"
(أشعياء ٦٠/٣)، وقد فتح الله بالإسلام كل ربوع الأرض ودخل
الناس فيه أفواجا، بما فيهم أعظم ممالك الأرض في ذلك الزمان:
الفرس والرومان.

١٠ - سمو مكانته بين الأنبياء :

"الحق أقول لكم: إنه لم يظهر بين من ولدتهم النساء أعظم من
يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت السماوات أعظم منه"
(متى ١١/١١)، ولم تسجل البشرية سيرة أعظم من سيرته (صلى الله
عليه وسلم) ولا مكانة أعظم من مكانته ومكانة رسالته وأمته.

١١ - أن اسمه "المستوجب للحمد":

أحمد ومحمد ومحمود :

جاءت تسمية النبي القادم في الأنجيل المترجمة عن اليونانية عن
العبرية عن الآرامية بلفظ "المعزي" كما ذكرنا أعلاه في عبارات :
(يوحنا ١٦/٧) و(يوحنا ١٤/٢٦) و(يوحنا ١٤/١٦). و"المعزي"
ترجمة للفظ اليوناني Paracletos أي المحامي أو المؤيد أو الشفيـع.

وأصله اللفظ العبري "بيرقليط" ويتشابه في الإملاء مع الكلمة العبرية "بارقليط" التي تعني المستوجب للحمد أي المحمود أو محمد أو أحمد. وقد تبين أن الكتابة العبرية، والتي اشتقت منها العديد من الألفاظ والمصطلحات في الترجمة اليونانية، لم يدخل عليها الضبط بالشكل (التشكيل) إلا في القرن الخامس الميلادي؛ وبالتالي فإن النص العبري قرئ وترجم على أنه بيرقليط بدلا من بارقليط، والأخير هو الأصح خاصة في ضوء كل الشواهد الأخرى .

وفي بحث لغوي لتحقيق نص عبارة: "الحمد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة" (لوقا ١٤ / ٢) بأصلها باللغة السيريانية كانت الترجمة الدقيقة هي : "الحمد لله في الأعالي، أو شك أن يجيء الإسلام للأرض ، يقدمه للناس أحمد" .

١٢ - أُمِّيَّتُهُ:

جاء في نبوءة أشعيا : "أو يُدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له أقرأ هذا فيقول: لا أعرف الكتابة" (أشعيا ٢٩ / ١٢)، وهو وصف لا ينطبق إلا على النبي الأمي محمد (صلى الله عليه وسلم) وليس موسى أو عيسى؛ فكلاهما تلقيا قدرا وافرا من التعليم قبل بعثتهما، كما يتطابق سرد النبوءة بصورة مدهشة مع حديث

بدء الوحي. "حتى جاءه الحقُّ وهو في غار حراء، فجاءه الملكُ فقال: أقرأ. فقال: ما أنا بِقَارِئٍ. قال: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فقال: أقرأ، قلت: ما أنا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فقال: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ ﴾ فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَرْجُفُ فُؤَادُهُ..." (رواه البخاري).

١٣ - ترديده الوحي كما نزل :

استمر نزول القرآن على النبي (صلى الله عليه وسلم) في شتى المناسبات طوال بعثته، فكان يتلقى الوحي من الملك جبريل فيردد ما يسمع بلا تردد تماماً كما جاء في نبوءة أشعياء السابقة، وكما جاء في عبارة سفر التثنية: "أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به" (تثنية ١٨ / ١٨)، فتأمل عبارة "وأجعل كلامي في فمه"، وكذلك عبارة إنجيل يوحنا: "وأما متى ما جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية" (يوحنا ١٦ / ١٣).

وتأمل أيضا كيف تتطابق هذه المعاني مع ما جاء في القرآن:

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُمْ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَازَتَابِ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُبِينٍ﴾ [الشورى: ٥١ - ٥٢].

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۖ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۖ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۚ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۖ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ٤ - ١٠].

﴿لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۚ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۚ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩].

﴿فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۚ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

١٤ - هجرته إلى المدينة :

"فاحملوا يا أهل تيماء الماء للعطشان واستقبلوا الهاربين بالخبز"
(أشعيا ١٤/٢١) .

وهي إشارة لأهل المدينة المنورة الذين آووا النبي وصحبه من المهاجرين ، وآخى كل واحد منهم وافدا من المهاجرين يشاركه الطعام والشراب، و"المدينة" اسمها قبل الهجرة "يثرب" أو "طَيْبَة"، ولاحظ الشبه بين الاسم الأخير و"تيماء". وقد كانت الهجرة بإذن الله؛ عندما أعلم رسوله بما أجمع عليه الكفار أن يضربوه بسيوفهم ضربة رجل واحد ليتفرق دمه بين القبائل، فتأمل ما جاء في نفس النبوة : "لأنهم قد فروا من السيف المسلول، والقوس المتوتر ومن وطيس المعركة" (أشعيا ١٥/٢١) .

١٥ - جهاده المشركين وانتصار الدعوة :

كانت حياته (صلى الله عليه وسلم) جهادا في معارك متصلة ضد المشركين والمتآمرين عليه من اليهود والمنافقين، طبقا لما جاء في نبوءة أشعيا :

"لا يكل ولا تثبط له همة حتى يرسخ العدل في الأرض وتنتظر

الجزائر شريعته" (أشعيا ٤٢ / ٤)

كما أشارت نبوءة أشعيا إلى هزيمة المشركين في موقعة بدر الفاصلة التي كانت فاتحة نصر المسلمين واندحار كفار قريش: "لأنه هذا ما قاله لي الرب: في غضون سنة ماثلة لسنة الأجير يفنى كل مجد قيثار" (أشعيا ٢١ / ١٦)، وقيثار هو جد قريش من أبناء إسماعيل: "وهذه أسماء أبناء إسماعيل: نبيوت بكر إسماعيل، وقيثار و...". (تكوين ٢٥ / ١٣).

١٦ - الفتح وانتشار دولة الإسلام :

بشرت نبوءة أشعيا بانتشار نور الإسلام في الأرض ودخول الناس فيه أفواجا:

"فتقبل الأمم إلى نورك، وتتوافد الملوك إلى إشراق ضيائك" (أشعيا ٦٠ / ٣).

كما أشارت إلى توحيد قبائل العرب ثم العجم في دولة واحدة تحت لواء الإسلام:

"تأملني حولك وانظري، فهاهم جميعا قد اجتمعوا، وأتوا إليك. يجيء أبناءؤك من بعيد وتحمل بناتك على الأذرع" (أشعيا ٦٠ / ٤).

وتصل أمة الإسلام إلى أوجها: "عندئذ تنظرين وتتهللين
وتطغى الإثارة على قلبك وتمتئين فرحا لأن ثروات البحر تتحول
إليك وغنى الأمم يتدفق عليك" (أشعيا ٥ / ٦٠).

١٧ - الحج إلى بيت الله الحرام :

تشير نبوءة أشعيا إشارات دقيقة إلى وفود الحجيج من كل بلاد
العالم لأداء شعائر الحج ملبين لله تعالى:

"أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها، لترفع البرية
ومدنها صوتها والديار التي سكنها قيذار، لترنم سكان سلع من
رؤوس الجبال ليهتفوا، ليعطوا الرب مجدا ويخبروا بتسبيحه في
الجزائر" (أشعيا ٤٢ / ١٠-١٢).

فالتسبيح والتلبية هنا على رؤوس الجبال ينطبق على تجمع
الحجاج على جبال عرفة والمزدلفة ومنى، في أكبر تجمع بشري يشهده
العالم عاما بعد عام:

"تكتظ أرضك بكثرة الإبل، من أرض مديان وعيفة تغشاك
بُكران، تتقاطر إليك من سبأ محملة بالذهب واللبان وتذيع تسبيح
الرب" (أشعيا ٦٠ / ٦).

وينحر الحجاج الهدي من الغنم التي أتوا بها شكرا لله تعالى:
"جميع قطعان قিদار تجتمع إليك، وكباش نبايوت تخدمك، تقدم
قرايين مقبولة على مذبحي، وأمجديتي البهي" (أشعيا ٦٠ / ٧) .

وبيت الله الحرام الذي يؤمه الحجاج والمعتمرون ليلا ونهارا على
مدار العام هو البيت الوحيد الذي لا يوصد أبدا ليلا ولا نهارا منذ
ظهره محمد (صلى الله عليه وسلم) من الأوثان يوم فتح مكة، فتأمل
النبوءة:

"تفتح أبوابك دائما ولا توصل ليل نهار، ليحمل إليك الناس
ثروة الأمم، وفي موكب يساق إليك ملوكهم" (أشعيا ٦٠ / ١١) .

١٨ - بشارة إنجيل برنابا :

في هذا الإنجيل بَشَّرَ عيسى عليه السلام بمقدم محمد ﷺ
بعبارات جلية واضحة، لا مجال فيها لتفصيل وتحليل ولا لشرح
وتعليق.

١ - "ولكن بعدي سيأتي رسول وولي من أولياء الله الطاهرين،
يغطي سنائه جميع من سبقه من الرسل، ويشئت نوره جميع المعميات
التي قالها الرسل من قبله، لأنه هو رسول الله" (برنابا ١٧) .

٢ - وقفز آدم على قدميه ورأى في الفضاء كتابة في سطوع الشمس تقول: "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، ثم فتح آدم فمه وقال: شكرًا لك يا رب لأنك خلقتني، ولكن قل لي سبحانهك ما معنى عبارة الرسالة التي تحمل هذه الكلمات "محمد رسول الله" هل كان من قبلي رجال؟" (برنابا ٣٩) .

٣ - "والحق أقول لكم إن كل نبي يأتي، إنما يأتي لأمة من الأمم رحمة من الله ولا تنصرف كلماته إلا للشعب الذي أرسل إليه، ولكن عندما يأتي رسول الله فإنه يأتي، وقد تلقى منه سبحانه وتعالى خاتم يده، يأتي رسولاً ومخلصاً ورحمة لشعوب العالم أجمع التي تتلقى رسالته ولسوف يكون له سلطة وسلطان على كل من يكفر ويضل، ولسوف يدمر الأوثان والأصنام حتى يجعل إبليس يلزم حدوده، كما وعد الله سبحانه وتعالى إبراهيم عندما قال: ولتعلم إنني من ذريتك أبارك جميع قبائل الأرض، وكما تحطم الأوثان إلى قطع صغيرة ستفعل ذريتك نفس الشيء يا إبراهيم" (برنابا ٤٣) .

٤ - "وعلى ذلك أقول لكم أن رسول الله هو النور الذي يضفي سناه على كل ما خلق الله؛ فقد أنعم الله عليه بالفهم والمشورة الحسنة وبالحكمة والقوة، بالخوف والحب، وبالفتنة والعفة، وبالاعتدال

وضبط النفس. أنعم عليه الله بالرغبة في الإحسان والرحمة، وبالعدل والشفقة والرأفة، والصبر والاحتمال، لقد أنعم الله عليه بكل ذلك ثلاثة أضعاف ما أنعم به على كل مخلوقاته، وبارك الله ذلك الزمن الذي يأتي فيه إلى هذا العالم، وصدقوني عندما أقول لكم إنني رأيته وقدمت له كل احترام وإجلال، كما رآه كل نبي، وقد أنعم الله عليه بالنبوة لمكارم أخلاقه، وعندما رأيته امتلأت روحي بالرضا والارتياح، وقلت: يا محمد الله معك، وياليت الله يجعلني أستاذك فك رباط نعلك، وهو شرف إذا حصلت عليه أكون نبيًا عظيمًا، وأكون وليا من أولياء الله، ولما قال ذلك أخذ عيسى يشكر ربه" (برنابا ٤٤).

٥ - "وأخذ كاتب هذا الإنجيل يذرف الدمع على عيسى ويقول له: يا معلم قل لي من الذي سيخونك؟ فأجاب عيسى قائلاً: يا برنابا لم تحن الساعة التي تعرف فيها الخائن، ولكن سوف يكشف عن نفسه قريباً جداً، فقد حان موعد رحيلي من هذا العالم، فبكى التلاميذ قائلين: يا معلم هل ستهجرنا؟ الأفضل لنا أن نموت على أن تهجرنا، فأجاب عيسى: لا داعي لأن تضطرب قلوبكم أو تخافوا لأنني لم أخلقكم، ولكن الله خالقنا هو الذي خلقكم ولسوف يحميكم، أما أنا فقد أتيت إلى هذا العالم لأعد الطريق لرسول الله، فهو الذي يحمل خلاص العالم، واحترسوا من أن تخدعوا فلسوف يأتيكم رسل

عديدون كلهم كاذبون ويستعرون كلماتي ويبشرون بإنجيلي. فقال أندراوس: يا معلم هل ذكرت لنا بعض العلامات حتى نعرفه إذا ما جاء؟ فأجاب عيسى: لن يأتي في وقتكم، بل سيأتي بعدكم بسنوات عديدة عندما يصبح إنجيلي وكأنه لا شيء، وفي ذلك الوقت لن يكون هناك في العالم إلا عدد قليل من المؤمنين قد لا يتجاوز الثلاثين، ولسوف تنزل رحمة الله عندئذ على العالم فيرسل رسوله الذي إذا ما سار أظلمته غمامة بيضاء، ولسوف يعرف بأنه المصطفى، ولسوف يكون الله بجانبه، عندما يظهر للعالم سيأتي بسلطان عظيم ضد الكفرة، ولسوف يدمر الأوثان والوثنية من على سطح الأرض، وإني لأفرح كل الفرح لأن الناس جميعًا سيعرفون الله سبحانه وتعالى عن طريقه، وسوف يمجّدونه ولسوف يدرك الناس أن الله حقيقة، وسوف ينتقم من هؤلاء الذين يصفونني بأنني أعظم من الله، والحق أقول لكم إن القمر سوف يسهر عليه في طفولته ويرعاه حتى ينام، ولسوف يمسك به من يديه عندما يكبر، وأحرى بالعالم أن يستقبله لا أن يطرده لأنه سوف يقضي على عبدة الأوثان، وفي أعداد تربو على تلك التي قضى عليها موسى خادم الله، ويوشع الذي لم يبق على المدن التي حرقوها وأطفالها، إن الجرح القديم يحتاج إلى الكي بالنار. سيأتي الرسول بحقائق أوضح مما أتى بها الرسل جميعًا ، ولسوف يؤنب

هؤلاء الناس الذين يستفيدون من العالم بطريق الخطأ، ولسوف تحيي أبراج مدينة آبائنا الواحد منها الآخرين فرحة، وعندما تسقط الأصنام على الأرض معترفة بأني إنسان كغيري من البشر، الحق أقول لكم، إن رسول الله سيأتي حتماً" (برنابا ٧٢) .

٦ - "فأجاب أندراوس: وكيف نتبين الحقيقة، أجب عيسى: الحقيقة هي التي تتفق مع صحف موسى، والتي نلتقاها باعتبارها حقيقة مدركين أن الله واحد، وأن الحق واحد، ومن هذا نرى أن المذهب واحد، ومعنى المذهب واحد أن الإيمان واحد، والحق أقول لكم إن الحقيقة إذا ما محيت من كتاب موسى، لما أعطاه الله لداود أبينا الثاني، وإذا ما كان كتاب داود قد شابه الشك لما أعطاني الله الإنجيل، واعلموا أن الله عز وجل لا يتغير، وأن رسالته واحدة للجميع، وعندما يأتي رسول الله يفضح جميع ما نسبته الكفار لكتابي..." (برنابا ١٢٤) .

٧ - "وعندئذ يقول رسول الله: ياربى من بين المؤمنين من بقي في النار سبعين ألف سنة، رحمتك يا إلهي أتوسل إليك يا ربي أن تغفر عنهم، وعندئذ يأمر الله سبحانه وتعالى ملائكته المقربين الأربعة أن يذهبوا إلى جهنم ويحرروا كل من اعتنق دين الإسلام وينقلوه إلى

نعيم الخلد، وهذا ما سوف يعملون" (برنابا ١٣٧) .

٨ - "فأجاب تلاميذ المسيح: ومن سيكون هذا الرجل الذي تتحدث عنه، والذي سيأتي إلى هذا العالم وكأنه المطر الذي يجعل الأرض تثمر برغم أنها لم تتلق الماء مدة طويلة، والذي سيقوم بعمل الخير بفضل رحمته الواسعة وكأنه غمامة بيضاء بها رحمة الله تنزل منها الرحمة كالمرر يصيب المؤمنين؟ أجاب يسوع بابتهاج إنه محمد رسول الله، ومتى جاء إلى هذا العالم فسيكون ذريعة للأعمال الصالحة بين البشر عن طريق ما يأتي به من رحمة..." (برنابا ١٦٣) .

٩ - "... وبرغم أن الناس أطلقوا علي اسم الله أحياناً وابن الله أحياناً أخرى، وحتى لا يستهزئ بي الشياطين في يوم الحساب، فقد أمر الله سبحانه وتعالى أن أكون محط سخرية الناس في هذا العالم عن طريق موت يهوذا، وجعل الجميع يعتقدون بأنني مت على الصليب ولسوف يستمر الناس في سخريتهم حتى يأتي محمد رسول الله الذي سوف يزيل هذا الخطأ عندما يأتي هؤلاء الذين يعتقدون في الله وشرعه..." (برنابا ٢٢٠) .

١٠ - "وإني لا أستأهل أن أحل رباط نعليه، فقد أولاني الله نعمته ورحمته، وجعلني أراه". وأجاب الكاهن ومعه الوالي والملك :

لا تحزن يا عيسى يا ولي الله، فهذه الفتنة لن تستمر طويلاً، ولسوف نكتب إلى مجلس الشيوخ في روما ليصدر فرماناً إمبراطورياً، يحرم أن يناديك أحد بإلهنا أو ابن إلهنا.

ثم قال عيسى: "لقد أرحتموني بكلماتكم، فنحن عندما نأمل في النور ينسدل ستار الظلام، وكل ما يرضيني ويعزيني هو مجيء الرسول، فهو الذي سيقوم بتقويم كل فكر خاطئ عني، ولسوف ينتشر دينه حتى يعم أنحاء العالم، وهذا هو ما وعد الله إبراهيم أبانا به، وهذا ما يعزيني وهو أن دينه لن يحده زمن أو حدود وسوف يجعله الله دائماً مصوناً طاهرًا".

وسأل الكاهن: وهل بعد أن يأتي رسول الله سيأتي رسل آخرون؟.

فأجاب عيسى: "لن يأتي بعده رسل حقيقيون يبعثهم الله تعالى، ولكن سيأتي عدد كبير من الرسل الكاذبين، وإني حزين لذلك ولسوف يخادهم إبليس، ولسوف يخفون أنفسهم في ظل إنجيلي مدعين عدالة الله".

وسأل هيرودس: وكيف تسمح عدالة الله بإرسال مثل هؤلاء الكذبة الأشرار؟.

أجاب عيسى: "إن كل من لا يعتقد في الإله الحق وفي خلاصه، يعتقد في كذبة تودي به. وعلى ذلك أقول لكم إن العالم دائماً يحتقر الرسل الحقيقيين، ويقدر الكاذبين، كما حدث في أيام أليشع وأرميا، فالشبيه ينجذب إليه شبيهه" (برنابا ٩٧).

وختاماً قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران: ٨١ - ٨٣].

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشَعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَآيَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ [آل عمران: ١٩٩].

﴿وَكَتُبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدَّنَا

إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُدًى لَّهُمْ وَالطَّبِيبُ وَحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧].

﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٥٦﴾ أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ ءَايَةٌ أَنْ يَأْتِيَهُمْ
عُلَمَتُوا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٥٧﴾ [الشعراء: ١٩٦ - ١٩٧].

﴿وكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ۚ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ
الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَمَا تَجْحَدُ
بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١٥٨﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا
تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَا رَتَابَ الْمُحْطَبُونَ ﴿١٥٩﴾ [العنكبوت: ٤٧ - ٤٨].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ
مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَا يَهْدِي

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ [الأحقاف: ١٠].

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٣﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف: ٦-٩].

خاتمة

رغم اختلاف مصادر النصوص التي أوردناها كشواهد لهذه الدراسة، سواء في حجيتها وتوثيقها، أو في زمانها وظروف تدوينها وحفظها، أو المناسبات والسياق الذي نزلت أو قيلت فيه، فقد رأينا كيف أنها تأخذ بأطراف بعض، وتعصد بعضها البعض لتؤكد:

١ - وحدانية الخالق جل وعلا، وتَنَزُّهه عن اتخاذ الشريك والولد، أي: "لا إله إلا الله".

٢ - بشرية الرسل والأنبياء، وتبشير الرسالات السابقة بنبوة محمد ﷺ خاتم المرسلين؛ أي: "محمد رسول الله".

وصدق الله العظيم، وبلغ رسله الرهط الكريم عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.